

الأجناس الأدبية من منظور النقد الغربي

Literary genres from the perspective of Western criticism

أ. عثمان مجدوبي

أستاذ مساعد (أ) بالمدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة - الجزائر

amedjdoubi@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2022/01/31

تاريخ القبول: 2021/08/19

تاريخ الإرسال: 2021/05/27

الملخص:

ظلت مسألة الأجناس الأدبية موضوع اهتمام النقاد الغربيين على اختلاف أزماتهم وتوجهاتهم ولم ينته النقاش النقدي حول هذا الموضوع إلى نتائج نهائية حاسمة تحدد إطار الجنس الأدبي وحدود أفعه الشكلي، فمن داع إلى اعتماد التصنيف الذي اقترحه المعلم الأول "أرسطو" والذي عملت به الكلاسيكية بكل قوة للمحافظة على نقاء الأجناس وتمفصلها طيلة عصر النهضة - إلى تيار جديد يدعو إلى وحدة الأجناس الأدبية مع فجر الرومانسية، ثم لم يلبث الجنس الأدبي على شكله السابق لينتقل إلى مرحلة التهجين والاختلاط والتلاقح مع نظرية باختين المنادية بالافتتاح والتغير.

الكلمات المفتاحية: الجنس الأدبي - النوع - الأدب - النص - أفق الانتظار.

Resumé:

La question des genres littéraires est restée un sujet de préoccupation pour les critiques occidentaux de différentes époques et tendances, et le débat critique sur ce sujet ne s'est pas terminée par des conclusions définitives qui définissent le cadre du genre littéraire et les limites de son horizon formel. il est nécessaire d'adopter la classification proposée par le premier enseignant, "Aristote", dans laquelle le classicisme a travaillé avec force pour le conservatisme. Sur la pureté et l'articulation des genres tout au long de la Renaissance - à une nouvelle tendance qui appelle à l'unité des races littéraires avec l'aube du romantisme, les genres littéraires n'ont pas survécu sous sa forme antérieure pour passer au stade de l'hybridation, du mélange et de la fertilisation croisée avec la théorie de Bakhtine appelant à l'ouverture et au changement.

Mots clefs:

Genre littéraire - Genre - Littérature - Texte - L'horizon d'attente.

قبل الخوض في تفاصيل الموضوع وجزئياته كان لزاما عليّ منهجيا النظر في مفهوم لفظة الجنس ودلالاتها المعجمية وتنوعاتها الاصطلاحية حتى نتبين ماهية مصطلح الجنس في مهاده الأولى لغة واصطلاحا.

1- دلالة مصطلح الجنس في المعاجم اللغوية:

إن البحث عن دلالة لفظي الجنس والنوع في المعاجم اللغوية القديمة سوف يساعدنا على الوقوف عند أهم ما قيل في الموضوع، وما استقر عليه علماء اللغة القدامى من شروح وتوضيحات لتحديد ماهية الجنس والنوع كمصطلحات معجمية قبل أن تصل إلى الحقل النقدي. والمطلع على ما انتهت إليه تلك المعاجم يدرك أنها تكاد تتفق جميعا على معنى واحد للفظي الجنس والنوع كما ورد ذلك عند كل من ابن فارس والزيدي وكذا ابن منظور.

أ. التعريف اللغوي لمصطلحي الجنس والنوع

فقد جاء تعريف الجنس في معجم مقاييس اللغة بأنه «الضرب من الشيء»¹. ويؤكد هذا التحديد أيضا أو «الضرب من كل شيء»². ويوسع ابن منظور القول في الجنس ويفصله زيادة على التعريفين السابقين يقول: «الجنس الضرب من كل شيء، وهو من الناس ومن الطير ومن حدود النحو والعروض والأشياء جملة»³ ويضيف ابن منظور بأن «الجنس أعم من النوع، ومنه المجانسة والتجنيس ويقال هذا يجانس هذا أي يشاكله ، وفلان يجانس البهائم ولا يجانس الناس إذا لم يكن له تمييز ولا عقل»⁴.

وإذا كان هذا التحديد يخص لفظة الجنس فإنه «لا تكاد لفظة النوع تختلف في تعريفها الأول عن تعريف الجنس إذ تتفق المعاجم على أن النوع - ولئن كان أخص من الجنس فإنه- يقصد به كذلك الضرب من الشيء أو الصنف منه أما دلالاتهما المختلفة حسب الاشتقاق، فيمكن حصرها في معنى التمايل أو التذبذب وهو ما يوحي بضرب من الانحراف عن الجنس والاختلاف عنه بوصفه الوضع الأصلي، لذلك يقال: ناع الغصن ينوع، واستناع وتتوّع: أي تمايل وتحرك»⁵. أي بمعنى أن الحركة الناتجة عن التمايل توحى «ضمنيا بمزيد من الابتعاد عن نقطة الانطلاق التي يمثلها الأصل والجنس»⁶.

ومن خلال الشروح اللغوية المختلفة للفظتي الجنس والنوع بحسب ما جاءت به المعاجم اللغوية السابقة، يقول عبد العزيز شبيل: «إنه يمكن أن نستخلص نتيجة أولى تتعلق بالدلالة العامة للفظتي الجنس أو النوع وتتمثل في ملاحظتين:

1- في شروح لفظة جنس إشارة إلى فكرة محورية تحوم حولها كل الدلالات هي فكرة التشابه أو التماثل، ولعل هذه الفكرة تشير ضمناً إلى مبدأ الثبات الذي يفرضه الإطلاق والتعميم.

2- أما شروح لفظة نوع فتدور حول فكرة الانحراف والاختلاف أو التنوع وهي فكرة توحى بمبدأ التحول والتغير المرتبط بمبدأ التعيين والتخصيص⁷. وإذا كان هذا هو المعنى اللغوي للفظتين حسب ما انتهت إليه تحديدات اللغويين، فإنه حري بنا العمل على الإحاطة بالدلالة الاصطلاحية للمصطلحين لأن ذلك كفيل بتتوير المعنى وإجلائه بشكل يمكن من خلاله فهم المعنى العام لمصطلح الجنس، والنوع، كما يقدمهما الفقهاء والنحاة والفلاسفة في مجالات اشتغالهم.

ب. التعريف الاصطلاحي

لقد قام كل من الفقهاء والنحاة وكذا الفلاسفة ببحث دلالة اللفظتين لتعلقهما بمجال الأحكام ومجال المنطق في مجرى الحياة العامة لتحديد دلالتها وإبعاد أي شكل من أشكال الالتباس التي قد تشوبها.

فالجرجاني (740هـ - 816هـ) مثلاً يعرف الجنس بأنه «اسم دال على كثيرين مختلفين بأنواع، وكل مقول على كثيرين مختلفين بالحقيقة»⁸. ويخص الجرجاني النوع بالتعريف بقوله: «كل مقول على واحد أو على كثيرين متفقين بالحقائق في جواب ما هو. فالكل جنس، والمقول على واحد إشارة إلى النوع المنحصر في الشخص»⁹. أما النوع فيحدد بكونه أخص كليين مقولين في جواب ما هو، وهو اسم دال على أشياء كثيرة مختلفة بالأشخاص.

وأما تحديد مصطلح الجنس في تصور الفقهاء فيعتبرونه «لفظا عاما، لذلك فكل لفظ عم شيين فصاعدا فهو جنس لما تحته سواء اختلف نوعه أم لم يختلف»¹⁰. وفي دائرة المعارف الإسلامية جاء تعريف الجنس بأنه «لفظ كلي أعلى في الماصدق من النوع، وهو أول الكليات الخمس في المنطق وهي: الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام، ويشترك في الجنس أنواع عدة»¹¹. وقد ميز ابن يعيش بين الكلم والكلام، فاعتبر «الكلم جمعا مفردة كلمة يقع على ما كان جمعا مفيدا أو غير مفيد أما الكلام فعبارة عن الجمل المفيدة وهو جنس لها، لذلك فكل واحدة من الجمل الفعلية والاسمية نوع له يصدق إطلاقه عليها، كما أن الكلمة جنس للمفردات»¹².

ولا يكتفي (ابن يعيش) بما ذهب إليه في تحديد مفهوم الجنس بل يعزز رأيه بما يحدد ماهية جنس الكلمة وتعيينها بما يخصصها بتعريفها لها بأنها «هي اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع وهي جنس تحته ثلاثة أنواع: الاسم والفعل والحرف»¹³. وبعد هذا العرض الموجز لمختلف التحديدات المتعلقة بمصطلحي الجنس والنوع كما وردت عند الفلاسفة والفقهاء واللغويين، نختم القول بما أضافه التهانوي إلى الموضوع من خلال تحديد مداه الأعلى والأدنى، فالأجناس تترتب متصاعدة، بينما تترتب الأنواع متنازلة وبالإضافة إلى ذلك لتساعد الأجناس في الترتيب حدّ تنتهي إليه، إذ لا تذهب إلى غير نهاية. بل تنتهي الأجناس في طرف التصاعد إلى جنس لا يكون فوقه جنس آخر، وإلا لتركبت الماهية من أجزاء لا تتناهي وهذا محال، وكذلك تنتهي مراتب الأنواع في تنازلها إلى نوع لا يكون تحته نوع وإلا لم تتحقق الأشخاص إذ بها نهايتها فلا تتحقق الأنواع»¹⁴.

ونخلص بعد تصفح مصادر هذه الدراسات إلى أن الجنس يمثل الأصل الأول في كل شيء وعنه تأتي الفروع والأنواع والأقسام وما إلى ذلك من المصطلحات المستعملة في هذا الشأن، ولعلنا بهذه الإضاءة الموجزة لمفهوم الجنس والنوع على المستوى اللغوي والاصطلاحي ما يساعدنا على فهم الفكرة التي قام عليها التصور الأجناسي في التراث النقدي الغربي.

2- تناول النقد الغربي لمسألة الجنس الأدبي

البحث في موضوع الجنس الأدبي ومحاولة رصد أنواعه مسألة بالغة الصعوبة، وقضية أسالت حبر كثير من ألمع النقاد قديما وحديثا وقد أدى الأمر ببعضهم أن نادى - كما سنرى لاحقا- إلى إلغاء مصطلح الأجناس الأدبية لانتفاء مقومات الصفاء والنقاء في الأثر الأدبي الواحد، والتي تتيح إمكانية إجراء التصنيف والتقييم والنمذجة على مستوى الخطابات السردية.

وينبغي الإشارة إلى أن فكرة التجنيس في الأدب قامت على ما تم إنجازها في ميدان العلوم الطبيعية حيث خضعت مجمل الكائنات في مختلف المجالات إلى عملية تصنيف في شكل مجموعات تشترك في الخصائص والصفات نفسها، ويمكن النظر إلى هذا الإنجاز على أنه أحدث ثورة عظيمة في جميع الميادين بما في ذلك ميدان العلوم الإنسانية التي شهدت بدورها محاولات مستمرة لتجنيس مختلف الخطابات السردية

وقبل بحث المسألة بشيء من التركيز نحاول أن نسلط الضوء على مفهوم الجنس الأدبي من منظور النقد الغربي وفي هذا يقول روني ويليك: «لا تحتل نظرية الأنواع الأدبية مكان الصدارة في الدراسات الأدبية في هذا القرن والسبب الواضح في ذلك هو أن التمييز بين الأنواع الأدبية لم يعد ذا أهمية في كتابات معظم كتاب عصرنا، فالحدود بينها تُعبر باستمرار، والأنواع تُخلط أو تُمزج ، والقديم منها يترك أو يُحوّر، وتخلق أنواع جديدة أخرى إلى حد صار معها المفهوم نفسه موضع شك¹⁵».

وعلى الرغم من أن هذا القول يشي بنوع من الصعوبة المنهجية في تحديد مفهوم الجنس الأدبي فإن دراسات عدة قد تصدت لهذه المسألة واعتبرت الجنس الأدبي "مبدأ تنظيميا للخطابات الأدبية ومعيارا تصنيفيا للنصوص الإبداعية ومؤسسة تنظيمية تسهر على ضبط النص أو الخطاب وتحديد مقوماته ومرتكزاته وتقعيد بنياته الدلالية والفنية والوظيفية من خلال مبدأي الثبات والتغير. ويساهم الجنس الأدبي في الحفاظ على النوع الأدبي، ورصد تغيراته الجمالية الناتجة عن الانزياح والخرق النوعي، ويعتبر الجنس الأدبي- كذلك - من أهم مواضيع نظرية الأدب وأبرز القضايا التي انشغلت بها الشعرية الغربية والعربية على حد سواء، لما للجنس الأدبي من أهمية معيارية وصفية وتفسيرية في تحليل النصوص

وتصنيفها ونمذجتها وتحقيها وتقويمها ودراستها من خلال سماتها النمطية ومكوناتها النوعية وخصائصها التجنيسية... كما تساعدنا معرفة قواعد الجنس على إدراك التطور الجمالي والفني والنصي، وتطور التاريخ الأدبي باختلاف تطور الأذواق وتنوع جماليات التقبل أو التلقي، فضلا عن تطور العوامل الذاتية المرتبطة بشخصية المبدع من ناحية الجنس والوراثة وتطور العوامل الموضوعية التي تحيل على بيئة الأديب بكل تجلياتها الطبيعية والجغرافيا والاجتماعية والتاريخية والدينية¹⁶.

ولكن بالرغم من هذا التحديد والتشخيص لمفهوم الجنس ثمة سؤال يعتورنا بإلحاح وهو ما السبيل إلى التعرف على الجنس وتحديد سماته الخاصة؟. لقد أجاب عبد الفتاح كليطو عن هذا السؤال بقوله: «إن كل نوع أدبي يفتح أفق انتظار خاصا به، راجع نفسك وسترى أنك لاتقرأ رواية بوليسية كما تقرأ رواية جنسية أو رواية أبطالها رعاة بقر. كيف يتكون أفق الانتظار؟. عندما يطلع القارئ (أو المتفرج) على مجموعة من المآسي فإنه ينتبه إلى العناصر التي تجمع بينها، وعندما يطلع على مأساة جديدة فإنه ينتظر أن يجد فيها العناصر نفسها التي سبق له أن فرزها... فالنوع يتكون عندما تشترك مجموعة من النصوص في إبراز العناصر نفسها»¹⁷. ولا ريب أن لكل نوع عناصر تمييزية مهيمنة هي التي تحدد شكله وتصنع فرادته، وهذه العناصر المهيمنة هي بمثابة «عقد بين المبدع والمتلقي، ومن ثم يهتدي القارئ إلى التعامل مع العمل على هدي ذلك التجنيس الذي أقره المبدع، فيعتبره عملا واقعيًا أو عملا تخييليا»¹⁸.

وبتعبير آخر فإن المتلقي للعمل الأدبي «يعتمد على أفق انتظاره التخيلي في التعامل مع النص الأدبي، ويعني هذا أن المتلقي يستند إلى مجموعة من الاتفاقات التجنيسية التي يمتلكها والتي من خلالها يقرأ ذلك النص تحليلا وتقويما، بمعنى أنه يمتلك خلفية تجنيسية يستكشف بها النص تشريحا وتأويلا، ومن ثم فالجنس هو بمثابة عقد نصي أو اتفاق خطابي بين المرسل والمرسل إليه أو بين الكاتب المبدع والمتلقي المفترض»¹⁹. وبناء على هذا فإن المتلقي لأي نوع أدبي كان، بإمكانه أن يلاحظ أنه «إذا لم يحترم العناصر الأساسية المسيطرة فإنه يخرج من دائرة النوع ويندرج تحت نوع آخر. في الحالات القصوى يخلق نوعا جديدا»²⁰، كما يمكننا أن نلاحظ أن «خصائص نوع لا تبرز إلا بتعارضها مع خصائص

أنواع أخرى ، تعريف النوع يقترب من تعريف العلامة اللغوية عند سوسير: النوع يتحدد قبل كل شيء بما ليس واردا في الأنواع الأخرى»²¹.

وحسب تودوروف فإن «العناصر المكونة للأثر تخضع لمنطق داخلي ، وليس خارجي، أما الأفكار التي نحن بحاجة إليها هي المطابقة للجنس والمطابقة للنوع. كل أثر يتولد من نوع، يعني أنه يتوفر على بعض مظاهر الخصوصيات البنيوية ، من ناحية أخرى تنتمي مجمل أثار حقبة لجنس أدبي، بمعنى أنها تسمح بالتقارب مع أثار معروفة سلفا عن طريق القراء المعاصرين. تكون قواعد الجنس للأثر سننا ضروريا لتأويله بشكل صحيح»²²، وعليه فما على القارئ إلا الاعتماد على أفق انتظاره الذي يتلون بألوان النصوص المختلفة ترسبت في ذهنه من خلال القراءات والمطالعات، ليُكوّن لنفسه ما يشبه قاعدة بيانية، هذه القاعدة هي محصلة ما ترسب في ذهنه من العناصر التمييزية الحاضرة في كل عمل إبداعي تمنح له فرادته وتمييزه، وهذه العناصر سوف يتنبأ القارئ إلى أنها تحضر في عمل فني دون غيره. فما نجده في الرواية لا نجده في القصة القصيرة، وما نجده في هذه الأخيرة لا نجده في القصة القصيرة جدا المسماة بالقصة الومضة في أدبيات النقد المعاصر، التي تعتمد أساسا على التكثيف الدلالي كسمة مميزة لها. وقس على ذلك ما في جنس الحكاية وتنوعاتها المختلفة، وغيرها من الأعمال الإبداعية الأخرى. وتدرجيا تتكون لديه شبكة جامعة من العناصر والمقومات التي يستطيع بواسطتها إدراك تمفصل الأعمال الأدبية وتأويلها ومن ثمة تصنيفها وتجنيسها.

3- تاريخ تأسيس الجنس الأدبي في الثقافة الغربية

كثيرة هي الدراسات التي عرفت طريقها إلى النور في حقل النقد الأدبي في الدول الغربية وكانت مسألة الأجناس الأدبية قد فرضت نفسها بحدة، وغدت محور اهتمام الإنشائية الغربية منذ زمن طويل بدءا بأفلاطون ومرورا بأرسطو الذي يُعد أول من عبّد طريق البحث في الأجناس الأدبية في الأدب اليوناني، ويعتبر «كتابه (فن الشعر) المنظر الأول للأجناس الأدبية دون منازع، فقد قعدها وصنفها بطريقة علمية قائمة على الوصف، وتحديد السمات الخاصة، والمكونات التي تميز كل جنس عن غيره. وقد قسم الأدب إلى ثلاثة أقسام رئيسية كبرى: الغنائي والملحمي والدرامي»²³.

ولا شك أن معالم الطريق التي سار عليها أرسطو في كتابه هذا جعلت الكتاب والأدباء الذين جاؤوا من بعده يسировون على هديه ملتزمين تعاليمه الفنية محافظين على الخصائص النوعية للأنواع التي حددها ونعني بها الملحمة والتراجيديا والشعر الغنائي، غير أن هذه الدراسات لم تبلغ المستوى الفني المطلوب طيلة عهد ما بعد أرسطو. «ولئن شهدت الفترات اللاحقة تطورات في مستوى التعامل مع الظاهرة الإبداعية والتتظير لأجناسها، فالانعطاف الحقيقي في هذا الأمر حصل في العصر الحديث، وتحديدًا ابتداء من القرن التاسع عشر إذ أخذ الأدب ينحو سبيل التحرر من الموروث والتحلل من نماذج التعبير والأجناس التقليدية تدريجياً ويتجه بخطى سريعة في اتجاه سن أبواب مستحدثة في الإبداع دون حدود تقريباً»²⁴ وهو ما يمكن اعتباره ثورة على تيار الكلاسيكية الجارف التي كانت قد بلغت أوجها وفرضت قوانينها وحافظت بقوة على نقاء الأجناس وتمفصلها طيلة هذا العهد، وكان (بوالو poileau) يعتبر الأنواع الأدبية كقوالب جامدة وصور ثابتة غير متحركة تتكون في زمن ما من أجزاء متعددة ولا تخضع في المستقبل لأي تغيير»²⁵. ولكن بمرور الوقت انتقل الجنس الأدبي من مرحلة الصفاء والنقاء النوعي مع الشعرية اليونانية إلى مرحلة وحدة الأجناس الأدبية مع الرومانسية، وبعد ذلك انتقل إلى مرحلة الاختلاط والتهجين والتلاقح مع نظرية باختين، وبكل اختصار انتقلت عملية التجنيس من مرحلة الانغلاق والثبات والاستقرار إلى مرحلة الانفتاح والتكون والتغير»²⁶.

هذا وقد أقرّ عدد من النقاد الغربيين بأن قضية التجنيس قد صارت في العصر الحديث من أعوص القضايا التي ناقشتها نظرية الأدب والتصورات البنيوية والسيمائية وما بعد البنيوية. «وقد أشار طودوروف (Todorov) إلى أن مسألة الأجناس الأدبية من المشاكل الأولى للبويطيقا منذ القديم حتى الآن، فتحديد الأجناس وتعدادها ورصد العلائق المشتركة بينها لم يتوقف عن فتح باب الجدل، وتعتبر هذه المسألة حالياً متصلة بشكل عام بالنمذجة البنيوية للخطابات، حيث لا يعتبر الخطاب الأدبي غير حالة نوعية»²⁷.

ولفهم منطق تكوّن الأجناس الأدبية يقترح طودوروف دراسة تحوّل المقولات الأدبية في إطار التعاقب الزمني قائلا: «إذا كانت المهمة الأولى للتاريخ الأدبي هي دراسة تحويلية كل مقولة أدبية، فإن الخطوة التالية ستكون أخذ الأجناس الأدبية بعين الاعتبار تعاقبيا كما فعل باختين (بعبارة أخرى، دراسة التنوع الشامل لنمط واحد)، وتزامنيا في علاقة الأجناس بعضها ببعض. ويجب ألا ننسى في الوقت نفسه، أنه في كل عصر يصاحب نواة السمات المتماثلة عدد كبير من السمات الأخرى التي نعتبرها مع ذلك أقل أهمية، ومن ثمة غير مصيرية في إلحاق هذا العمل بذاك الجنس الأدبي. وتبعا لذلك يكون العمل جديرا بالانتماء إلى أجناس أدبية مختلفة طبقا لحكمنا بالأهمية على هذه السمة أو تلك من سمات بنيته. وهكذا تنتمي (الأوديسة) حسب القدامى بلا جدال إلى جنس (الملحمة). أما عندنا نحن فإن هذا المفهوم قد فقد راهنيته. وقد نكون ميالين لربط الأوديسة بجنس القصة أو حتى بجنس القصة الميثولوجية»²⁸

وكان الناقد الألماني (كارل فيتور) قد أشار إلى مكن الصعوبة التي يتسم بها موضوع الأجناس الأدبية ورأى «أن متصور الجنس ليس موحد الاستعمال إلى الحد الذي يسمح للباحث بالتقدم في الميدان الصعب الذي تمثله مسألة الأجناس الأدبية، ذلك أنه يوجد خلط كبير في استعمال هذا المصطلح، إذ يراد به الأجناس الثلاثة الكبرى أي الملحمة والمأساة والشعر الغنائي... واستنادا إلى تمييز العلوم الطبيعية بين الجنس والنوع يفضل أن يرى في تلك الأجناس الثلاثة الكبرى مواقف جوهرية لعملية التشكيل ومنتهى ما يمكن الوصول إليه»²⁹. وبعدما تساءل (فيتور) عن مكونات الجنس الأدبي وما يتميز به من عناصر تمييزية، أجاب بأن «تكوّن الجنس يعتمد ثلاثة عناصر مجتمعة هي المحتوى النوعي والشكلان الداخلي والخارجي المخصوصان، ويعتبر أن محاولة تأسيس إنشائية جديدة للأجناس ينبغي أن تسلك هذا الاتجاه إذا أرادت أن تصل إلى نتائج مقنعة، إلا أن هذا المسلك محفوف بالمكاره والصعوبات التي تقف حائلا دون التقدم. ولعل أشد الصعوبات وأكثرها تعقيدا قضية المنطلق، فهل تكون البداية من الجنس بوصفه متصورا نظريا مسبقا، أم من الجنس باعتباره إنجازا ملموسا وإنتاجا متداولاً؟»³⁰.

يجيب فيتور بأن «الجنس لا يخترع ولا يمكن أن يوجد بشكل قبلي، ومع ذلك فبالإمكان أن نحدد أثرا أدبيا مخصوصا نعتبره أحسن ما يجسد الجنس ثم نستقي منه ما يمثل شروطه . لكن ذلك يفترض ضمنا أننا تعاملنا مع ذلك الأثر بفكرة مسبقة هي التي سمحت لنا باعتباره أحسن ما يمثل الجنس المقصود وفي هذا الصدد يجزم (فيتور)بأننا لن نجد في أية لحظة أثرا يمكن أن نقول عنه إن النمط يتحقق فيه وأنه الجنس في تمام اكتماله»³¹.

وهناك من يرى أن البحث في الصنافة الأدبية والنظرية العامة للنص ما زالت بعيدة عن إدراك سن النضج، ولن يتأتى لها الوجود بمعزل عن نظرية الخطاب³². التي دعت إليها الرومانسية في إطار توحيد الأجناس الأدبية ضمن نظرية الأدب «في القرن العشرين وبالضبط مع تصورات الشكلانية الروسية والبنوية الفرنسية والنقد الجديد والسميائيات...»³³

ولكن الأصوات المتعالية الرافضة لتجنيس الأنواع الأدبية وجدت طريقها إلى الظهور "في الفترة الممتدة بين سنوات السبعين والتسعين من القرن الماضي حيث انبثقت مجموعة من المذاهب والتيارات الفكرية والأدبية نائرة على نظرية الأجناس الأدبية تفكيكا وتقويضا وتشتيئا مع مجموعة من الأسماء الغربية مثل جاك دريدا (Jacques Derrida)، ورولان بارت (R.barthes)، وموريس بلانشو (M.Blanchot)، وجوليا كريستيفا (Julia Kristeva)...»³⁴ وغيرهم من النقاد.

فقد ثار «موريس بلانشو (M.Blanchot) على نظرية الأجناس الأدبية مثلما ثار عليها عالم فن الجمال الإيطالي "كروشييه (Croce) في دعوته إلى التخلص من مفهوم الجنس ونفيه. وهكذا كتب بلانشو في أواخر منتصف القرن العشرين قائلا: «لم يعد هناك كتاب ينتمي إلى جنس، كل كتاب يرجع إلى الأدب الواحد... ومن ثم فهو بعيد عن الأجناس وخارج خانات الشعر والنثر والرواية... يأبى أن ينتظم تحت كل هذا أو يثبت له مكانه، ويحدد شكله»³⁵، ويضيف بلانشو (M.Blanchot) بأن "الأدب لا يقبل التفرد بين الأنواع ويرمي إلى تحطيم الحدود»³⁶.

وفي السياق نفسه يضم (رولان بارت R.barthes) صوته إلى صوت بلانشو (M.Blanchot) ويدعو: «إلى إلغاء الحدود الموجودة بين الأجناس الأدبية وتعويض الجنس الأدبي أو الأثر الأدبي بالكتابة أو النص، وبما أن النص يتحكم فيه مبدأ التناص، واستتساخ الأقوال وإعادة الأفكار وتعدد المراجع الإحالية التي تعلن موت المؤلف، فلا داعي للحديث عن الجنس الأدبي ونقائه وصفائه ما دام النص من جهة أخرى جماع نصوص متداخلة وملقى خطابات متنوعة ومختلفة من حيث التجنيس والتصنيف. ويعني هذا أن الكتابة الأدبية- حسب بارت- هي خلخلة لمعيار التجنيس وانتهاك لترتيب الأنواع وانزياح عن قواعد تصنيف الأنماط»³⁷. ويضيف رولان بارت (R.barthes) قائلاً: «إن النص لا ينحصر في الأدب الجيد، إنه لا يدخل ضمن تراتب، ولا حتى ضمن مجرد تقسيم للأجناس، ما يحدده على العكس من ذلك هو قدرته على خلخلة التصنيفات القديمة»³⁸

4- الرومانسية ودعوتها إلى توحيد الأجناس الأدبية

تعالّت الصيحات المنادية بتجاوز القوالب الجامدة والأشكال الثابتة والمنفصلة للأجناس الأدبية الموروثة قبل الثورة الرومانسية الألمانية إلى معانقة تيار الانصهار للأجناس الأدبية في بوتقة واحدة . فالرومانسيون تحدوهم نزعة فنية قوية «نحو التركيب ومزج الأنواع والمتضادات لهذا نجدهم يولون اهتماما كبيرا بشكسبير الذي لم يكن يلتزم صوتا واحدا في مسرحياته وإنما يمزج أصناف الكلام، فيمزج مثلا الكلام الجزل بالكلام السوقي. والنزعة نفسها جعلتهم يهتمون بالحوار الأفلاطوني الذي يتقبل في ثناياه عدة أنواع مازجا الجد بالهزل، والشيء الذي لا يجب إغفاله هو أنهم يضعون الرواية في الصدارة لأنهم انتبهوا إلى كونها تتضمن جميع الأنواع.

في القرون الماضية كانت الرواية بمثابة الفرد الفقير في عائلة الأنواع، إلا أنها منذ نهاية القرن الثامن عشر أي في فترة معاصرة لميلاد مفهوم (Littérature) « ولبزوغ الرومانسية، أخذت تشق طريقها شيئا فشيئا إلى حد أنها صارت مع مرور الزمن قمة الأنواع ذلك أنها تستوعب الرسالة والمذكرات والسيرة الذاتية والحوار المسرحي، بل يمكن أن تستوعب حتى الشعر، وإنَّ تَعَوَّدًا على قراءة الروايات هو الذي يجعلنا لا نلمح هذه الخاصية»³⁹. وهكذا يمكننا أن نلاحظ أن ما تتميز به الرواية المعاصرة الآن «هو قدرتها

على استيعاب جميع الأجناس الأدبية المختلفة»⁴⁰. فهي بمثابة «محفل أجناس متوقد بحيوية فائقة»⁴¹.

وبالفعل فإن القارئ المعاصر يمكنه ببساطة أن «يلحظ اليوم أن الكتابات الإبداعية المعاصرة سواء أكانت في الثقافة الغربية أم في الثقافة العربية قد بدأت - فعلا- في خلخلة الجنس الأدبي وتحطيم معايير النوعية ونسف مقوماته النمطية باسم الحداثة والتجريب والتأصيل والتأسيس، وأصبحنا نتحدث -اليوم- عن القصيدة النثرية التي يتقاطع فيها الشعر والنثر، والقصيدة الشذرية التي يتقاطع فيها الشعر مع الفلسفة، والقصيدة الدرامية التي ينصهر فيها الشعر والحوار المسرحي معا»⁴². لقد تحولت الرواية مع مرور الوقت إلى جنس ناضج يستوعب عديد الأشكال السردية، وغدا فضاء تخيليا بامتياز تتلاقى في عالمه أنماط من النصوص والخطابات التي تم تذويبها تناسا وتهجينا وتضمينا. وقبل الرواية كان المسرح يعتبر أب الفنون دون منازع طيلة قرون من الزمن.

الخاتمة

وأخيرا لابد من ختم الحديث في موضوع الجنس الأدبي في الثقافة الغربية بالوقوف على جملة من النتائج على النحو التالي.

- إن صوت النقاد الغربيين يكاد يجمع على كون نظرية الأجناس الأدبية لا يمكن فصلها بأي حال من الأحوال عن مجال نظرية الأدب التي تبقى آلية نظرية وتطبيقية، تقربنا من عالم النص وتمدنا بآليات ووسائل التعامل مع الآثار الأدبية من أجل تصنيفها وتقويمها وتأويلها.
- إن النص السردي الإبداعي المعاصر يأبى أن يكون أداة طيعة في يد النقاد ليحصروه في نمط معين. كونه تشرب من أعطاف متعددة، وارتوى من مصادر ثقافية متداخلة في تفاعل يصعب فكّه
- لا يمكن الاطمئنان إلى نتائج تطبيق قواعد التصنيف المعتمدة في ميدان العلوم الطبيعية على الأجناس السردية.
- إن الكتابة الإبداعية لا تعرف الثبات لأنها قائمة محو لكتابات سابقة، وإعادة لها وتغيير مستمر لمسارها.

الهوامش:

- 1- ابن فارس. أبو الحسن أحمد بن زكريا: معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام هارون. ط1، دار الجيل. 1991. ج1. ص486.
- 2- الزبيدي. محمد مرتضى الحسيني الواسطي: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر. د.ت، ج17. ص123.
- 3- ابن منظور. جمال الدين بن محمد بن مكرم: لسان العرب. ط3. ج3 دار صادر، بيروت. 2004م. ص215.
- 4- المصدر نفسه. ص215.
- 5- عبد العزيز شبيب: نظرية الأجناس الأدبية في التراث النثري، جدلية الحضور والغياب. ط1، دار محمد علي الحامي صفاقس. تونس 2001م. ص144.
- 6- المرجع نفسه. ص145.
- 7- المرجع نفسه. ص145.
- 8- الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف : معجم التعريفات ، تحقيق ودراسة، محمد صديق المنشاوي . ط1. دار الفضيلة ، القاهرة 2004 م. ص 70 .
- 9- المرجع نفسه. ص207.
- 10- عبد العزيز شبيب: المرجع السابق. ص147 .
- 11- دائرة المعارف الإسلامية: مجلد7، دار المعارف، لبنان د.ت.
- 12- ابن يعيش موفق الدين: شرح المفصل ج1، د.ت، د.ط. ص21.
- 13- المصدر نفسه، ج1 ص18.
- 14- التهانوي محمد علي: كشف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تحقيق علي دحروج ، ج1، ط1. مكتبة لبنان ناشرون. بيروت. 1996م. ص. 596. 597.
- 15- روني ويليك: مفاهيم نقدية مجلة عالم المعرفة، ترجمة د محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، الكويت العدد 110، السنة 1987م، ص376.
- 16- جميل حمداوي: نظرية الأجناس الأدبية. أليات التجنيس الأدبي في ضوء المقاربة البنوية والتاريخية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء. المغرب. ط1، 2015م. ص8.7.
- 17- كليطو عبد الفتاح: الأدب والغرابة. دراسات بنيوية في الأدب العربي، ط4، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء. 2007م. ص25.26.
- 18- جميل حمداوي: نظرية الأجناس الأدبية ص24.
- 19- المرجع نفسه. ص24.
- 20- كليطو عبد الفتاح: الأدب والغرابة. ص26.

- 21- المرجع نفسه ص 26.
- 22- تزفيتان تودوروف، أوزفالد ديكر: مفاهيم سردية، ترجمة عبد الجليل الأزدي، عبد الرحمان مزيان، ط1. المطبعة والوراقة الوطنية. مراكش. المغرب. 2012م. ص45.
- 23- جميل حمداوي: نظرية الأجناس الأدبية. ص 24.
- 24- محمد ناصر العجمي، 2008م: الأجناس الأدبية ومدى إمكان الإقرار بوجودها بالفعل، محاولة ل مقارنة الأجناس من وجهة نظر عرفانية، مؤتمر النقد الدولي الثاني عشر / تداخل الأجناس الأدبية، جامعة اليرموك، 22-24 تموز 2008م، إربد، الأردن، عالم الكتب الحديث، ص582.
- 25- المرجع نفسه ص 10.
- 26- المرجع نفسه ص 10.
- 27- المرجع نفسه ص 09.
- 28- تزفيتان طودوروف: الشعرية. ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة. دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط2. 1990م. ص 78. 79.
- 29- كارل فيتور: تاريخ الأجناس الأدبية، مقال. نقلا عن عبد العزيز شبيل: المرجع السابق. ص19.
- 30- المرجع نفسه: ص21.
- 31- المرجع نفسه: ص21. 22.
- 32- ينظر الأمين بن مبروك: الأجناس الأدبية من الضبط إلى العبور. مقالات وفصول مترجمة، دار نهى للطباعة. صفاقس، تونس. ط1. 2008م. ص 84.
- 33- جميل حمداوي: نظرية الأجناس الأدبية ص 28.
- 34- المرجع نفسه: ص 21.
- 35- Blanchot.M ; le livre à venir, paris Gallimard. 1959 p 244. 243.
- 36- جميل حمداوي. نظرية الأجناس الأدبية ص 28، 29 .
- 37- المرجع نفسه، ص15.
- 38- رولان بارت: درس السيميولوجيا، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، ط 1. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء. المغرب. 1986. ص61.
- 39- كليطو عبد الفتاح: المرجع السابق. ص 22.
- 40- حفيظة طعم: التخيل في الرواية التاريخية المغاربية، دار الكلمة. ط1. أدرار. الجزائر، 2018م. ص 125.
- 41- عبد السلام أقلمون: الرواية والتاريخ، سلطان الحكاية وحكاية السلطان. دار الكتاب الجديد المتحدة. ط1. المملكة المغربية، 2010م. ص10.
- 42- جميل حمداوي: المرجع السابق. ص 15-16.

قائمة المراجع باللغة العربية:

أ. القواميس والمعاجم والموسوعات

- 1- ابن فارس أبو الحسن أحمد بن زكريا: **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام هارون. 1991م، ط1، ج1، بيروت، لبنان، دار الجيل.
- 2- ابن منظور. جمال الدين بن محمد بن مكرم: **لسان العرب**. 2004م ط3، ج3، بيروت، دار صادر.
- 3- التهانوي محمد علي: **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تحقيق علي دحروج، 1996م، ج1، ط1. مكتبة لبنان بيروت. ناشرون.
- 4- الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف : **معجم التعريفات** ، تحقيق ودراسة، محمد صديق المنشاوي 2004م. ط1. القاهرة، مصر، دار الفضيلة .
- 5- دائرة المعارف الإسلامية: د.ت، مجلد7 ، لبنان، دار المعارف.
- 6- الزبيدي محمد مرتضى الحسيني الواسطي: **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج17، د.ت، ط، بيروت، لبنان، دار الفكر.
ب. **قائمة الكتب العربية**.
- 7- ابن مبروك الأمين : **الأجناس الأدبية من الضبط إلى العبور**. مقالات وفصول مترجمة، 2008م، ط1، صفاقس، تونس، دار نهى للطباعة.
- 8- ابن يعيش موفق الدين: **شرح المفصل** ج1، د.ت، ط. مصر، إدارة الطباعة المنيرية.
- 9- جميل حمداوي: **نظرية الأجناس الأدبية**. آليات التجنيس الأدبي في ضوء المقاربة البنيوية والتاريخية، 2015م، ط1، الدار البيضاء. المغرب، أفريقيا الشرق.
- 10- حفيظة طعم: **التخييل في الرواية التاريخية المغربية**، 2018م، ط1. أدرار. الجزائر، دار الكلمة، ص125
- 11 - عبد السلام أفلمون: **الرواية والتاريخ، سلطان الحكاية وحكاية السلطان**. 2010م، ط1، المملكة المغربية، دار الكتاب الجديد المتحدة.
- 12- عبد العزيز شبيل: **نظرية الأجناس الأدبية في التراث النثري، جدلية الحضور والغياب**. 2001م، ط1، تونس، دار محمد علي الحامي صفاقس.
- 13- كليطو عبد الفتاح: **الأدب والغربة. دراسات بنيوية في الأدب العربي**، 2007م، ط4، الدار البيضاء، المغرب، دار توبقال للنشر.

ج. قائمة الكتب المترجمة.

- 14- تزفيتان تودوروف، أوزفالد ديكر: مفاهيم سردية، ترجمة عبد الجليل الأزدي، عبد الرحمان مزيان، 2012م. ط1. مراكش. المغرب، المطبعة والوراقة الوطنية.
- 15- تزفيتان تودوروف: الشعرية. ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، 1990م. ط2، الدار البيضاء، المغرب، دار توبقال.
- 16- رولان بارت: درس السيميولوجيا، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، 1986م ، ط 1. الدار البيضاء المغرب، دار توبقال للنشر.

د. قائمة المراجع باللغة الأجنبية

17- Blanchot.M ; le livre à venir, paris Gallimard.1959 p 244.243

ه. مداخلات المؤتمرات

- 18- محمد ناصر العجمي، 2008م: الأجناس الأدبية ومدى إمكان الإقرار بوجودها بالفعل، محاولة ل مقارنة الأجناس من وجهة نظر عرفانية، مؤتمر النقد الدولي الثاني عشر / تداخل الأجناس الأدبية، جامعة اليرموك، 22-24 تموز 2008م، إربد ، الأردن، عالم الكتب الحديث.